التعبير والاداء في الخطابة

من كتاب الفصل الوجيز في فن الخطيب

(في التعبير)

س ما التعبير

ج هو تصوير المعاني بالالفاظ . وهو الاصل الثالث من اصول الخطابة

س متى يكون التعبير جيداً

ج متى كان مثلاً للمعاني بصور لفظية محكمة الالتحام جميلة الانتظام تلج الآذان بلا استئذان

س لماذا جعلت التعبير الاصل الثالث من اصول الخطابة

ج لان الخطيب يصرف همهُ اول الامر الى اختراع الادلة واعداد الوسائل ثم يرتبها ترتيباً منطقياً . فيكون بالايجاد والترتيب قد كوّن جسماً فيتعين عليهِ ان يكسوهُ ثوباً من اللفظ لائقاً

فان استطاع ان يأتي بجسم المعنى سليماً جميلاً وبالثوب فاخراً متناسباً كان كمن يعرض على الناس فتى جميل الوجه متناسب الاعضاء لابساً من انفس الثياب واجودها فتنعم العيون برؤيتهِ وتخضع القلوب لسلطان جماله . وان لم يكن المعنى اللابس شائقاً واللفظ الملبوس لائقاً فلا يجد لهُ في القلوب تأثيراً

س بماذا يصل الخطيب الى الاتيان بالمعنى يشبهُ فتى وضيء الطلعة جميل الصورة وباللفظ يحكي الثوب الفاخر الرائع المنظر

ج اما الاتيان بالمعنى بالهيئة المذكورة فلا يُدرَك الاَّ بعد اجالة النظر في الموضوع والاحاطة باطرافهِ وجعل مراعاة الاحوال والغرض المقصود نصب العين ووُجهة القلب

واما الباسهُ من الالفاظ ثوباً قشيباً فاخراً ملائماً فأمرٌ لا يقدر عليهِ الاَّ من كان كالثوّاب جامعاً في مخزنهِ ما شاء الله من اصناف ثياب الذكور والاناث مما يصلح لكل طبقة من طبقات الناس . بحيث كلما خطر لهُ معنىً وجد لهُ لفظاً يلائمهُ كما ان كل طالب يجد طلبتهُ في مخزن الثوّاب

س الا تذكر لي قواعد البلاغة في التعبير

ج قد ذكرت لك كل ما لا بدَّ منهُ لتحصيل ملكة البلاغة . واشبعت الكلام في ذلك بعد الفراغ من اصول البيان فعليك بمراجعتهِ ولكن على ذكر منك ان الاساليب

المبتذلة لا تستميل الاسماع ولا تجد مكانًا في القلوب فابذل الجهد ان تسمع الناس جديدًا شائقًا

س اهذا الحدّ يبلغ شأن التعبير

ج اذا اردت ان تعرف منزلة العبارة فانظر الى رجال حسان الالوان طوال القامات لكن بعضهم لابس ثياب حرير نظيفة ذات روعة على الزيّ المألوف وبعضهم عليه ثياب حرير رثّة وسخة وبعضهم عليه ثياب من الكتان فاي هؤلاء يكون اجمل في عينك منظرًا . فلا شك ان اجملهم في عينك هو الاول . وكذا لو عُرض عليك ثلاثة اقداح واحد من خزف وواحد من زجاج وآخر من بلور وفي كلها نوع واحد[1] من الشراب لاخترت قدح البلور

س هل للخطيب ان يصرف همّهُ الى تنميق الالفاظ

ج سبيل الخطيب ان تكون عبارتهُ حرةً مهذّبة لا تدخلها المحسنات اللفظية الاّ عفوًا تفتح للناس ابواب الآمال في مقام الترغيب . وتسدّ في وجوههم ابواب الرجاء في مقام اليأس وتملأ قلوبهم ذعرًا في مقام الوعيد ورجاء في مقام الوعد وهلم جرًّا

س ماذا تقول في الخطب المزينة بالاسجاع وانواع الجناس مثل الخطب الحريرية وخُطب ابي حليم بطريرك النساطرة

ج اما الخطب الحريرية فما انشئت لتخطب بها على المنابر وانما هي خطب في كتاب جلّ الغرض من انشائهِ اظهار البراعة وغزارة المادة وبعد الشأو في الكتابة

واما خُطب ابي حليم فانما حلاّها بحلى التجنيس متابعةً لعادة العصر فلو ترسّل بها ما قوبلت بمثل ما قوبلت بهِ من الاستحسان والاستفصاح

على ان مثل ابي حليم غزارة مادة لا يخرج بهِ التزام السجع والجناس الى اضعاف المعاني والتكلف في المباني فهو كأبي القاسم الحريري يتقيد ويسابق المطلق فيأخذ عليهِ السبق

وان كنت في ريب من ذلك فعارض الخطبة المهملة لابي القاسم باي خطبة شئت من الخطب المرسلة لفحول الكتّاب فلا ترى لها مزية عليها في متانة التركيب وحسن التهذيب واليك منها

واكدحوا لمعادكم كدح الاصحاء . واردعوا اهواءكم ردع الاعداء واعدّوا للرحلة اعداد السعداء . وادّرعوا حال الورع . وداووا علل الطمع وسوّوا أوَد العمل . وعاصوا وساوس الامل (المقامة السمرقندية)

---

(١) ومن هذا القبيل قول يونس بن حبيب ليس لعيّ مروّة ولا لمنقوص البيان بهاء ولرحلك يا فوفو سحبان انساء . وقال ابن المقفع البيان جماع العلم

س لماذا يختار في الخطب الاغراض عن الاشتغال بالحلى اللفظية

ج انما اختير ذلك ليتفرغ الخطيب الى اقامة الحق واستنباط الاساليب التي تؤدي الى قلوب السامعين حتى تحصل المصلحة المقصودة بالخطبة وفي صبغ نفس السامع بمثل ما انصبغت به نفس الخاطب وانصاه الخطيب عن الاشتغال بما يدلُّ على سعة علمه وطول باعه فانما هو خطيب مصلحة عامة لا خطيب التبجح والعُجب . فلا يليق ان يجعل الخطبة اعلاناً لعلمه وطول باعه

س ايّ الخطيبين يفضل على الآخر المتأنق بزخرفة العبارة ام المكتفي بان تكون مهذبة قريبةً الى الافهام

ج المكتفي بكون العبارة مهذبة قريبة الى الافهام فهذا يكون سديد البرهان لا مطلب لهُ الاَّ فائدة السامعين واما المتأنق فحلُّ غرضه ان يقيم من الخطابة شهوداً على بسطة علمه ومن اجل هذا فضلَ ديموستانُ شيشرونَ الخطيب الروماني . (راجع محاورات فلون في علم الخطابة ورسالتهُ الى المجمع العلمي الفرنسوي وقد ترجمتْ المحاورات والرسالة بالعربيَّة اما المحاورات فمطبوعة مع كتاب فصل الخطاب في الوعظ . واما الرسالة فمطبوعة في جريدة الروضة سنة ١٩٠٠)

(في الاداء الخطابي)

س ما الاداء الخطابي

ج هو القاء الخطبة

س هل للاداء شأن كبير في الخطابة حتى عدَّ من اصولها وأفرد لهُ باب من كتبها

ج لا ريب في ذلك لان الاداء هو ابداء مقاصد الخطيب وشواعره بحركات الجسم واختلاف طبقات الصوت الا وانما ساعةَ الاداء يكون الانسان خطيباً . وساعةَ الاداء نفسها يجاهد الاهواء الزائغة طالباً كبحها وابطالها

فاعظم خطيب ان لم يحسن الاداء تعرض الناس عنهُ وتمجُّ اسماعهم كلامهُ . وأحطُّ الخطباء طبقة ان توفَّر لهُ حسن الاداء فضل على أعلام طبقته ان لم يحسن الاداء . ولاسيما عند العوام الذين انما ينظرون الى وقفة الخطيب وصوته واشارته وطلاقة لسانه وقلما يبالون بما وراء ذلك . فان لم يحسن الاداء فليس بخطيب قال ديموستان وقد سئل اي اصول الخطابة هو الاول . قال الاداء . فقيل لهُ ما الثاني . قال الاداء . فقيل لهُ ما الثالث . قال الاداء

س ماذا ينضمُّ تحت لفظة الاداء الخطابي

ج الذاكرة والصوت والاشارة لان اجادة الاداء تقتضي ان يتذكر الخطيب فحال ما ينوي بيانهُ من الافكار والشواعر وان يوصلها الى السامعين بالصوت ناطقاً بها ولا بدَّ لهُ آخر الامر من اشارات تفيض على كلامهِ روح حياة لتتم النتيجة المقصودة

س ما الذاكرة

ج هي الخزانة المستودَعة معاني الخطبة ومبانيها

س أهي ذات شأن في الخطابة

ج هي كنز الخطابة وليس بعد الحكم المصيب شيءٌ يحتاج اليهِ الخطيب احتياجهُ الى ذاكرة سريعة امينة

فان لم يكن لهُ حافظة اضطرَّ اما الى قراءة الخطبة واما الى ادائها وهو على رَيب من الاحاطة بها حفظاً. وكلا الامرين مخلاّن بحق الخطابة ولكن ان كان قد ضمَّ الى قوة الذاكرة سائر صفات الخطيب كان من الثابت ان يتجب ولو كان موضوعهُ من الموضوعات المبتذلة بكثرة الابتذال. قيل لأحد الخطباء ما احسنُ خطبك. قال هي التي كنت لها أحفظ

س بماذا يستعان على تقوية الذاكرة

ج يستعان بعدة وسائل احدها ترتيب اجزاء الخطبة فان المعاني الجيدة التنسيق يدعو بعضها بعضاً فهي كسلسلة متصلة الحلق

ثم كتابة الخطبة بخطٍّ حسن وعبارة منقحة حتى لا يشقَّ عليهِ استظهارها وان يختار للحفظ اما اوّل النهار او ما قبل النوم

ثم الممارسة والتجربة فلا يكفي ان يحفظها في ذهنهِ او يذكرها بصوت منخفض بل لا بد لهُ ان يخطبها بصوت عالٍ إما وحدهُ وإما في جماعة قادرين ان يقوّموا الأود ويصلحوا الخطأ. ولاسيما في مبدإ امرهِ فمثل الذاكرة مثل الحقل يزيد خصباً كلما زدتهُ حرثاً وغذوتهُ سماداً ويعود جديباً متى تركتهُ بوراً

وليتوسل بكل ما يراهُ من هذه الوسائل اعون على تقوية ذاكرتهِ

س ما هي محاسن وساوي كتابة الخطبة واستظهارها كلمة فكلمة

ج اما المحاسن فان هذا اسلوب وثيق ومن اللازم استعمالهُ للمبتدي. واما المساوي فقد يعرض انهُ يرتج على الخطيب كما حدث لبعض الناس على المنابر. وانها تفيد الخطيب وتجعل الاداء بارداً وتزيد الخطابة كلفةً وعناءً كما علت السنّ حتى ان بعضهم اضطرَّ ان يهجر المنبر سنين من عمرهِ